الفصل الأول

وحوش بيننا: تاريخ من زراعة الخوف في أمريكا

Monsters Among Us: A History of Sowing Fear in America

استندت بندقية من نوع كالاشنيكوف على واحدة من التشكيلات الصخرية الجافة والملتوية عبر الجبال النائية لأفغانستان. وكانت أحجار الحُوَّار الهشّة، التي شكّلت ما بدا على أنه هيكل شبيه بالكهوف، قد أضفت خلفيّة مغايرة للشخص النحيل الغامق الذي جلس متصالب الرجلين، وهو يحدّق إلى الكاميرا. أما لحيته التي كانت يوماً ما سوداء ولامعة، أصبحت اليوم شعثاء، وملطّخة بالبقع البيضاء. لقد طالت لحيته لتصل إلى سترته الواسعة المُموَّهة التي كانت تكسي كتفيه العريضين، وتحميه من رياح الخريف القارصة.

إنَّ ملامِحاً مثل هذه كانت نادرة، فقد قبع لأكثر من عشرين عاماً خلف البقعة القاسية من أرضه البعيدة عن السواحل، وذلك في مخبئه في جنوب وسط آسيا. وعلى أية حال، فقد كان يظهر أمام العالم عن طريق رسائل مسجّلة مسبقاً، وهي تنبعث من خلوته السرية في سلسلة كهوف تورا بورا، بهدف إيصال تحذيرات كئيبة عن دمار مروّع، وتتّسم بمعرفة غيبيّة عادة ما نجدها لدى الكهنة والأنبياء. وقد كان ظهوره في ٧ أكتوبر (تشرين الأول)،٢٠٠١ مثالاً على مناسبات كهذه.

لقد أطلّت عيناه المتفحّمتان من كآبة غامضة حلَّت فوق العظام الحادّة لخدّيه، وهي تكشف عن الغِلِّ الذي كان يتخمّر بداخله. وبينما يضرب بذيل عمامته المصفرِّ الذي كان يهتزّ في الريح أمامه، استقرّت يداه الثقيلتان على الميكروفون الذي كان في حِجْره. التقط الميكروفون، وتحدث بلطف غريب يتعارض مع رسالته القاتمة وهو يقول:"لقد امتلأت أمريكا بالذعر من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، والحمد والشكر لله"[1]. وأضاف "أقسم بالله سبحانه وتعالى الذي رفع السماوات بلا عمد، أنَّ لا أمريكا ولا أحداً يعيش هناك سوف ينعم بالأمان حتى ننعم به نحن"[2]. ومن بين البراري لقرية نائية تبعد ٨٠٠٠ ميل عن الأجزاء الجوفية المشتعلة "للطابق صفر"، أصبح أسامة بن لادن الوحش الأكثر رواجاً في أمريكا.

* * *

عندما ضربت الطائرة الثانية البرج الجنوبي عند الساعة ٩:٠٣ صباحاً، بقي عمود ضخم من الدخان محلِّقاً فوق شوارع منطقة وسط مانهاتن، مقزِّماً المتفرجين المحمومين في عرض وحشي من الغضب. وعلى الرغم من الحشد المفاجئ للطواقم الإخبارية التي تنقل خبر تحطم طائرة الركاب، إلاّ أنه يمكن للمرء بسهولة أن يتصوّر أنّ الأشلاء قد نجمت عن فعل مخلوق ضخم ينفث النار، وقد أُرسل من حدود خيالنا ليعيث فساداً على أجهزتنا العصبية. إنّ منظراً دموياً كهذا يمكن أن نراه في الأفلام، ولكن ليس في الواقع. وتعلِّق لين براون Lyn Brown من وكالة WNYW للأخبار وهي تنقل الأحداث أثناء وقوعها قائلة: "إذا كنت تشاهد هذا المشهد في صالة للسينما، لكنتَ اعتقدتَ أنّ أمراً كهذا لا يمكن أن يكون واقعياً على الإطلاق"[3]. وردَّ جيم رايان Jim Ryan الذي يشارك براون في التعليق قائلاً: "هذا فيلم من أفلام الرعب أو أفلام الكوارث، ولكنه بالنسبة لنا، وللأسف، ليس فيلماً، وإنّما شيء حقيقي"[4].

لقد شكّلت الاعتداءات صدمة للأمريكيين الذين-في سعي يائس منهم للبحث عن معانٍ لمثل هذه المجزرة-يمكن فقط أن يصفوا العنف الذي لا معنى له على أنه عملٌ من الأعمال الهمجيَّة؛ إذ لم يكن هناك شيء يتصف بالإنسانية حيال تحويل طائرة تجارية ممتلئة إلى صاروخ يزن ١٥٠ طن، وموجَّه بدقة صوب ناطحات السحاب في مدينة نيويورك. وكان الرئيس جورج دبليو بوش قد علّق في ١٢ سبتمبر (أيلول)، ٢٠٠١، بعد يوم واحد من الهجمات، قائلاً "هذا النوع من الأعداء هم ممن يختبئون في الظلال وليس لديهم اعتبار لحياة الإنسان"[5]. وتساءلت تالي شاهاك Tallie Shahak من صحيفة الجيروزاليم بوست *Jerusalem Post* "ما الذي يجعل تلك السلسلة المحددة من الهجمات الإرهابية النكراء على هيئة وحش هائل"؟[6]

وإذا أردنا أن نَصِف شيئاً على أنه وحشي، فإن الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر (أيلول) تحمل تلك الصفة، سواءٌ أكانت لأولئك المتضررين مباشرة من هذه المأساة، أم لأولئك المتضررين على نحو غير مباشر، ولكن مع ذلك تعرضوا للذعر؛ حيث يمكن وصف الخاطفين التسعة عشر بأنهم وحوش حقيقية. وبالنظر إلى حجم الدمار والرعب، يبدو أنَّ النّعت المستخدم مناسب جدّاً.

وأشار الكثير من الكُتّاب والسياسيين في الأيام والأسابيع التي تلت الأحداث إلى أنّ مرتكبي المجزرة قد تخلوا عن حالتهم الإنسانية؛ حيث نقرأ في أحد العناوين لصحيفة الإكسبريس *The Express* في ١٣ سبتمبر، ٢٠٠١ ما يلي: "ينبغي على العالم أن يقف سويّاً لكي يدحر هؤلاء الوحوش"[7]. وكتبت آليسون ليتيل Allison Little بعد خمسة أيام، وهي مراسلة لدى الصحيفة، قائلة: "يجب أن نقتل وحش الإرهاب"[8]. أما غازي القصيبي-الدبلوماسي السعودي الحذر عادة والسفير المخضرم لدى بريطانيا العظمى-فقد علَّق على العقل المدبِّر المشتبه به، أسامة بن لادن، قائلاً "ليس لدي شك

في أنه إرهابي لأنني كنت أستمع لما يقوله، وأنا أعتقد بصراحة أنه وحش بشري"[9]. على أية حال، وبسرعة، تحوّل هذا الوحش الإنساني إلى ليرنيان هيدرا Lernaean Hydra– وهو عبارة عن وحش على هيئة ثعبان مائي في الأساطير اليونانية القديمة، والمعروف بامتلاكه لرؤوس متعددة ونَفَسٍ سام. ونقرأ في أحد عناوين صحيفة الوول ستريت جورنال *Wall Street Journal* في نوفمبر (تشرين الثاني)،٢٠٠١: "قَتْل الهيدرا: إنّ القضاء على بن لادن يعني قطع رأس واحد من أفراد تنظيم القاعدة ولكن ليس الكل"[10]. وكانت الرؤوس التسعة لهذا الوحش الأسطوري ophidian قليلة بالمقارنة مع تلك للزعيم الإرهابي السعودي؛ فـ "الوحش يُنتج ألف رأس"، هكذا كتبت صحيفة الكوريِر مايل *The Courier Mail* وهي تتعقب مخالب تنظيم القاعدة لتصل إلى تفجير قطارات مدريد عام ٢٠٠٤، وهجمات مترو الانفاق في لندن عام ٢٠٠٥[11]. وقد لوحظ أيضاً الانتشار العالمي الممتد لـ بن لادن من قِبَل معهد الدراسات القتالية، وذلك في تقرير بعنوان "مكافحة هيدرا حديثة: القاعدة والحرب العالمية على الإرهاب". وأبرزت الدراسة أنّ تنظيم القاعدة يتميز بـ "المرونة، والليونة، والقدرة على التكيف" مع التكتيكات العسكرية الأمريكية. وكما الوحش المائي من القرن الخامس الذي كان يُنتج رأسين مقابل كلِّ رأس يجري قطعه، فإنّ شبكة بن لادن الإرهابية كانت تتكرّر، مما يزيد من صعوبة التغلب عليها[12].

* * *

وسواء أكان الوحش الذي ينفث النار من صنع هوليوود، أم هيدرا تعيش في مستنقع مياه، أو متآمر إرهابي يسكن الكهوف، فإنّ الوحوش منذ فترة طويلة قامت بغزو أطراف الفضاء الحضاري البشري. وتُعدُّ السمة الموحَّدة للوحوش، بغض النظر عن بنيتها أو أماكن تجوّلها، على أنها أجنبية، وهي تأتي من نطاق آخر–حيث الفوضى

والخطر ينتصران على النظام والأمن، وحيث تنزف مياه مجهولة في خط الأفق المظلم الذي يَعِد بالهلاك الوشيك.

وكانت "كرة لينوكس" Lenox Globe–وهي عبارة عن كرة نحاسية جوفاء يعود تاريخها إلى العقد الأول من القرن السادس عشر(١٥١٠)–قد استخدمت العبارة اللاتينية hic sunt dracones وتعني "هنا يكون التنين"، بهدف تحديد المناطق غير المستكشفة، والتي تبدو أنها تعصف بالوحوش[13]. وذكر بي إف دا كوستا B.F. Da Costa أنَّ تلك المخلوقات تسكن المياه قبالة السواحل الشرقية للصين–الذي يُدعى الهند الشرقية وفقاً لتلك الكرة–وكانت "تقتات على القتلى وتنزع عظامهم"[14].

إنّ الحجم الهائل الذي احتلَّته الوحوش على الخريطة قد أضاف بلا شك إلى أهوال الأعماق، وببساطة لم يكن مجرد وجودهم في المياه المظلمة الغامضة السبب وراء الخوف في قلوب البحارة؛ حيث يشير ريتشارد كيرني Richard Kearney في كتاب عنوانه "الغرباء، والآلهة، والوحوش" *Strangers, Gods, and Monsters*، فإن الوحوش تتحدى الحدود:"الوحوش مخلوقات حدِّية يمكنها أن تذهب حيث لا يمكننا أن نذهب نحن". ويضيف قائلاً: "تستطيع الوحوش أن تسافر بحصانة غير دبلوماسية لتلك البلدان التي لم تُكتشف، والتي لا يعود من حدودها مسافرون من البشر–بل إنما من فصيلة الوحوش فقط. إنَّ تجاوز الوحوش للحدود التقليدية التي تفصل بين الخير والشر، وبين الإنسان والوحش، يسبّب لنا الذعر الشديد، ويذكِّرنا بأننا لا نعرف من نحن"[15]. كما تذكّرنا الوحوش أيضاً بأنَّنا ضعفاء، وأنَّ الأوغاد القابعين في الانتظار بعيداً عن أنظارنا، سوف يظهرون في أية لحظة ويجرّوننا إلى غموضِ عالمهم الشرير. وسوف يستسلم النظام المجتمعي لفوضى ما وراء الظلام.

وإذا كان هناك شيء واحد جيد عن الوحوش، فإنه قدرتهم على توحيد من هم تحت التهديد. وعلى الرغم من أنهم يَعِدُون بإطلاق العنان لغضب شديد، إلا أنَّ وجودهم الخَطِر في كثير من الأحيان يسبّب ارتياحاً-كذلك الذي يؤكد من جديد الشعور بالأمن والانضباط بين الخائفين. و"هذا هو اليوم الذي يتّحد فيه جميع الأمريكيين من كل مشارب الحياة في تصميمهم على العدالة والسلام"، هكذا قال الرئيس بوش عشيّة هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وأضاف: "لقد هزمت أمريكا الأعداء من قبل، وسنعيد الكَرّة الآن من جديد"[16].

كان الواقع المُخيف عند الكثيرين هو أنّ أُناساً من بني البشر-ممّن غُسِلت أدمغتهم وانحرفت نفوسهم-قد قاموا بهذا العمل الذي لا يمكن لأحد أن يتصوّره. وإنّ إطلاق وصف "الوحوش" على بن لادن وجماعته من تنظيم القاعدة (على الرغم من أنهم بالكاد مخلوقات من الخيال) قد أعفى البشرية من المسؤولية عن مثل هذه المظاهر الشنيعة من العنف. لقد جرى إسقاط الشرور البشرية الفظيعة على مخلوق ضخم أكبر من الحياة، الأمر الذي أدّى إلى إحساس منتشر في كل مكان من كارثة وشيكة. ومن الغرابة بما يكفي، أنه وفي أعقاب أحداث الرعب، نشأ لدى الأمريكيين نهم لا يُشبع للقصص الخاصة بالوحوش؛ إذ لاحظ عالِم اللاهوت تيموثي بيل Timothy Beal الرغبة المتجددة لأفلام الرعب الخيالية، مشيراً إلى الحماس الواسع النطاق للأعمال العالمية مثل "مجموعة الوحوش الكلاسيكية" Classic Monster Collection ، المستوحاة من القصة الشهيرة دراكولا، وكذلك إلى عدد كبير من أفلام الرعب التي حقّقت عدة ملايين من الدولارات من الأرباح مثل "الدم والذهب" *Blood and Gold* ،و"ثلاثة عشر شبحاً" *Thirteen Ghosts*، و"من الجحيم" *From Hell*، وتلك ذات الطابع الأكثر مرحاً مثل: "شركة الوحوش" .Monsters Inc،و"هاري بوتر

وحجر الساحر" *Harry Potter and the Sorcerer's Stone*، و"سيد الخواتم" *The Lords of the Rings*[17].

وأشار بيل إلى أنّ الوحوش تستمر بالعودة لأنها "لاتموت"؛ ويُعدّ ١١ سبتمبر، ٢٠٠١ تذكرة صارخة على أمر كهذا. ومن إحدى الوسائل التي جعلت الكثير من الأمريكيين يتأقلمون مع العالم ما بعد ٩/١١ هو مشاهدة أسوأ مخاوفهم تتمثّل أمام أعينهم-وذلك بمواجهة الواقع بينما يجلسون بأمان على كرسي مريح في غرفة المعيشة أو في السينما، حيث يمكن بسهولة إيقاف الرعب عن طريق الضغط على زر الإيقاف المؤقت، أو الخروج من السينما. أما هؤلاء الذين اختاروا أن يتحملوا المشاهد المخيفة، على أية حال، فقد كان هناك شعور كبير من الارتياح: إذ إنّ العدو سوف يجري التغلّب عليه، وبعد فترة وجيزة-حتى تنتهي فقرة الثناء وتُنار الأضواء-يعود النظام إلى المكان. ويكتب بيل قائلاً: "إنّ الفيلم النموذجي الخاص بالوحوش من هوليوود يُعدّ بمثابة وسيلة لأحد الطقوس العامة الخاصة بطرد الأرواح الشريرة، حيث إنَ إحساسنا الظاهر من عدم الارتياح يجري إسقاطه على هيئة وحش، ومن ثم يُطرد بعيداً". ويضيف بيل: "وعلى الرغم أنه سوف يكون هناك بعض الأضرار الجانبية قبل انتهاء المعركة، إلاّ أنه في نهاية المطاف سوف يُهزم الوحش، وتصبح الأمة آمنة مرة أخرى"[18].

لم تكن الغيلان (ج غول)، والعفاريت الخيالية، الوحوش الوحيدة التي ظهرت في الأفلام، حيث كان هناك أيضاً تصويرٌ لأعداء لدودين أكثر واقعية؛ إذ يمثّل هؤلاء، كما يفعل معظم الوحوش، المخاوف من حقبة معينة. وفي أعقاب الاضطرابات لأحداث ٩/١١، عُدَّ الإرهابي العربي من بين الأشخاص الأكثر خطورة وإثارة للاشمئزاز. وكانت أفلام مثل: "سقوط الصقر الأسود" *Black Hawk Down*، و"سيريانا"

Syriana، و"جسد من الأكاذيب" Body of *Lies*، و"المملكة" *The Kingdom*–التي جسّدت جميعها صورة الأوغاد الشرق أوسطيين الذين يُهزمون عن طريق عناصر سرِّية من الحكومة الأمريكية–قد حقّقت نجاحاً كبيراً، وذكَّرت المشاهدين بأن القضاء على التهديد الإرهابي إنّما هو مسألة وقت؛ إذ إنّ الولايات المتحدة، والأخيار، سوف ينتصرون في النهاية على العدو اللدود الشرير، حيث لم يكن هناك رواية أخرى مناسبة. ويشير الفيلسوف ستيفن أسما Stephen Asma إلى أنّ "هرقل ذبح الهيدرا، وجورج ذبح التنين، والدواء ذبح الفيروس الغريب، والعمود والصليب ذبحا مصاص الدماء"[19]. وكما كان الحال دائماً، فسوف يكون كذلك هذه المرة: أي أن الوحوش سوف تموت.

وسواءٌ أكانت الوحوش حقيقةً أم وهماً، مثل التي في الأحداث المثيرة للأفلام أو في قصص نشرة الأخبار المسائية، فإنها تُحقّق الاستمرارية عن طريق قصص الخوف. ولكي تُبقي الوحوش على فعاليتها المؤثّرة، فإنها يجب أن تبقى ظاهرة للعيان باستمرار. ومن ثمَّ، فإن الحكايات عن غضبهم المُقبل تُشكِّل النَفَس الذي يعطيها الحياة، وينبِّه المجتمع لخطرهم الذي لا ينتهي أبداً، ولوجودهم المترصِّد على الدوام. وتقوم الروايات –إلى حدٍّ ما–بدور الداعم لحياة الوحوش؛ إذ إنه بدونها، لا تؤدي الوحوش الغرض من وجودها.

وبما أن الروايات تعبّر عن التجربة الإنسانية، فإنّها تعطي المعنى والمنطق للعالم الموجود خارج نطاق تصوّراتنا للمثالية–وهو عالمٌ يعجّ دائماً بمأساة لا يمكن تفسيرها، وأعمال عنف لا معنى لها. وتحتاج الأعمال المدمرة التي يقوم بها البشر إلى بعض التفسير، وبعض التقييم المنطقي الذي يضع السلوكيات التي تبدو غير إنسانية داخل قصة تؤكّد الخير الإنساني، وتفصل بين الإنسان المقدس والحيوان المتوحش.

وكما يشير إتش بورتر آبوت H.Porter Abbot، على أية حال، فإن الروايات تُعدّ أيضاً آليات بلاغيّة للاستغلال. إذ يمكن استخدامها لتقديم معلومات كاذبة، والعودة بنا إلى الظلام حيث يجري تغذية المخاوف العقلانية لدينا عن طريق أفراد ممن يسعون للاستفادة من زيادة القلق المجتمعي[20]. وبالنسبة للبعض، يُعدُّ الحديث عن زحف منتظم لعدوٍّ غازٍ، عازم على انتهاك الحريات الوطنية، من الأساليب التي تؤدي إلى الانتصار في الانتخابات، وفي اكتساب رأس المال السياسي، كما أن إطلاق الوعود بسحق التهديدات المتربِّصة على الدوام بوساطة جيش متأهِّب، يؤدي إلى الفوز بولايات متعددة في سُدَّة الحكم. أما بالنسبة للآخرين، فإن قعقعة السيوف تُعدُّ أمراً مثمراً على الصعيد المالي، إذ يمكنهم كسب الكثير من مجتمع مفتونٍ بالوحوش، ولكنه من الممكن كسب المزيد من المجتمع الذي يجد الأمن في قصص الوحوش. ولطالما انجذبت أمريكا، على وجه الخصوص، بالوحوش، ولأسباب وجيهة؛ حيث من اللحظة الأولى التي حيكت فيها راية النجوم والخطوط Stars and Stripes ودخلت حيِّز الوجود، كانت الغيلان البغيضة تترصد من خلف ستارة الوثائق التأسيسية للأمة، وتزحف من حين لآخر لتذكرنا بوجودها. وعندما تفعل ذلك، فإننا نجد هناك-كما يُبيِّن لنا التاريخ-وجود صناعة حِرفيّة من المتطرفين في حالة تأهب لاستغلال الخوف الذي يغرسونه.

* * *

كانت بلدة تشارلزتاون Charlestown في مدينة بوسطن مسرحاً لأحد الأحداث المتعلقة بالخوف من الوحش في أواخر التسعينيات من القرن الثامن عشر. وكانت هذه البلدة الغريبة في ولاية ماساتشوستس، التي تقع مباشرة إلى الشمال من مدينة بوسطن، تقع على شبه جزيرة تقسم نهري تشارلز وميستيك، وكانت معروفة لكونها نقطة

الانطلاق لقصيدة بول ريفيير Paul Revere بعنوان "جولة منتصف الليل" Midnight Ride في عام ١٧٧٥. وبعد ثلاثة وعشرين عاماً، اندلع الذعر في المجتمع على إثر أنشطة هدّامة مزعومة من جماعة تسمى البافاريين المتنوِّرين Bavarian Illuminati. وجماعة المتنوِّرين "إيلومينياتي" Illuminati هذه هي عبارة عن جمعية سرية من عصر التنوير شكَّلها شخص يُدعى آدم ويشاوبت Adam Weishaupt، وهو ماسوني ألماني المولد كان يأمل في إسقاط الحكومات الملكية، والأديان التابعة للدولة في أوروبا ومستعمراتها. وعن طريق التأكيد على المبادئ العقلانية لعصر التنوير والعداء لرجال الدين، اكتسبت الجماعة تأثيراً مطّرداً في المحافل الماسونية في جميع أنحاء ألمانيا.

وكان جون روبنسون John Robinson، الفيزيائي الأسكتلندي المعروف، وعالم الرياضيات–وللمفارقة–مخترع صفارات الإنذار، يُعدُّ من بين أول الأشخاص الذين دقُّوا ناقوس الخطر حول الخطط التآمرية المزعومة لجماعة "إيلومينياتي"، التي تهدف إلى تفكيك القوى الأوروبية. ويعتقد روبنسون أن الجمعية تشكَّلت "لهدف واضح، وهو استئصال جميع المؤسسات الدينية، وقلب جميع الحكومات القائمة في أوروبا". وافترض أنَّ القادة الأكثر نشاطاً في الثورة الفرنسية الجارية حينها هم جزء من المجتمع السرِّي الذي أصبح "المشروع الكبير والخبيث الذي تخمَّر في جميع أنحاء أوروبا"، وختم قائلاً إنه في القريب العاجل، سوف يقومون بتصدير مخططاتهم الشريرة إلى أماكن أخرى، الأمر الذي يهدد الديانة المسيحية[21].

وتوقّع روبنسون أنَّ لدى أعضاء الجماعة خططاً لتحضير نوع من الشاي الذي يسبِّب الإجهاض، كما كانوا قادرين على إنتاج مادة سرِّية بحيث "تسبِّب العمى أو تقتل عندما تُرشق في الوجه"[22]. كما قام بعرض هذه المزاعم بالتفصيل في كتاب عنوانه "براهين التآمر ضد جميع الأديان والحكومات الأوروبية تُدار في اللقاءات السرية

للماسونيين، وجماعة إيلومينياتي، والمجتمعات السرِّية" *Proofs of Conspiracy Against All the Religions and Governments of Europe Carried on in the Secret Meetings of Free Masons, Illuminati, and Reading Societies*–وقد وجد الكتاب طريقه إلى أمريكا في نهاية المطاف. وخلال صيف العام ١٧٩٨، كتب جي دبليو شنايدر G.W.Snyder –وهو قِسٌّ لوثري Lutheran–رسالة تحذير إلى جورج واشنطن تتضمن نسخة من كتاب روبنسون؛ حيث عبَّر فيها عن قلقه حيال جماعة إيلومينياتي التي سوف تتسلَّل إلى أمريكا عن طريق المحافل الماسونية. وردَّ واشنطن على شنايدر في رسالة بتاريخ ٢٥ سبتمبر (أيلول)، ١٧٩٨ قائلاً:"لقد بلغني الكثير عن التعاليم والخطط الشائنة والخَطِرة لجماعة إيلومينياتي"[23]. وتابع واشنطن قائلاً إنه لا يعتقد أنّ الجماعة كانت منخرطة على نحو نشِط في المحافل الماسونية. وردَّ واشنطن مرة أخرى بناءً على إلحاحٍ من روبنسون الذي طلب تفسيراً لتعليقاته، وذلك في أواخر أكتوبر (تشرين الأول) من ذلك العام، حيث كتب:"لم يكن في نيتي أن أُشكِّك في أن تعاليم جماعة إيلومينياتي، ومبادئ اليعقوبية Jacobinism لم تنتشر في الولايات المتحدة. وعلى النقيض من ذلك، فليس هناك من هو أكثر ارتياحاً لهذه الحقيقة منّي شخصيّاً"[24]. وعلى الرغم من أنه من غير المعلوم فيما إذا كان أعضاءٌ، أو أتباعٌ، من جماعة إيلومينياتي قد جاؤوا إلى أمريكا، إلاّ أنّ الناس قد شعروا بوجودهم في أوروبا؛ حيث انشغلت أحاديثهم وهي تُطلق التحذيرات من غزوِهم المُنتظر.

وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني)،١٧٩٨، قام القس جيديدايه مورس Jedediah Morse–راعي كنيسة جماعة المصلِّين الأولى First Congregational Church في بلدة تشارلزتاون–بإلقاء العظة الثانية من أصل ثلاث عِظات عامة حول تهديد جماعة إيلومينياتي؛ حيث أصبح مورس–بعد قراءة كتاب روبنسون–على قناعة بأن الولايات

المتحدة كانت ضحية لمؤامرة شريرة من شأنها أن تنشر الكُفر، وتشجِّع على سلطة العقل، وتعزِّز الديمقراطية الجيفيرسونية Jeffersonian. وكان لمورس–العضو الموقَّر في الحزب الفيدرالي–شعبية في بلدة تشارلزتاون كانت قد نشأت إلى حد كبير نتيجة للرفض الشعبي للثورة في فرنسا، حيث صعد مورس إلى منبر الكنيسة المطلي باللون الأبيض، وأوضح أنَّ القيم المسيحية لأمريكا الحبيبة تتعرض للخطر، حيث قال:

> لقد قام رجال أشرار وماكرون في بلدان أجنبية بتبنّي وسائل سرية ومنهجيَّة، ومتابعتها بحماسة ونشاط، بهدف تقويض أسس هذا الدين [المسيحيّة] والإطاحة بالمذابح الخاصة به، ومن ثمَّ حرمان العالم من تأثيره الحميد على المجتمع ... لقد حقَّق هؤلاء المتآمرون المارقون، والمتفلسفون أهدافهم على نحو كامل في جزء كبير من أوروبا، وهم يتباهون بإمكاناتهم في إنجاز خططهم في جميع أنحاء العالم المسيحي، ويهلِّلون ليقينهم من نجاحهم، ويضعون معارضيهم في حالة تحدٍّ[25].

لم يكن مورس الشخص الوحيد من بين سكان نيو إنجلاند New England الذين كانوا يُحذِّرون الأمريكيين من تهديد الأيديولوجيا الأجنبية، فقد قام أيضاً تيموثي دوايت الرابع Timothy Dwight IV–وهو قسٌّ زميل في كنيسة جماعة المصلِّين والرئيس الثامن لجامعة ييل Yale–بالكشف عن هواجس متشائمة لظهور جماعة إيلوميناتي في نهاية المطاف، حيث حدث ذلك في خطبة ألقاها في الرابع من يوليو (تموز) في مدينة نيو هايفن New Haven من ذلك العام. وكان دوايت رئيساً للحزب الفيدرالي في ولاية كونيتيكيت Connecticut، ولكنه كان معروفاً أيضاً بسبب دوره كزعيم لطائفة اللاهوت الجديد الإنجيلية Evangelical New Divinity لجماعة الكنسيِّين Congregationalism–وهم عبارة عن مجموعة من النخبة في ولاية كونيتيكت الذين دمجوا آراءهم السياسية المُحافِظة مع جهودهم، بهدف نشر الديانة المسيحية في جميع

أرجاء أمريكا. وقد حذَّر دوايت من أنَّ فوزاً على الطريقة الجيفرسونية من شأنه أن يولِّد جوّاً من الفساد الأخلاقي، وأنَّ عهداً من الإرهاب–تماماً مثل العنف الذي دام لمدة عام وحثَّ عليه اليعقوبيِّون Jacobins بعد ظهور الثورة الفرنسية–قد يشقَّ طريقه في نهاية المطاف إلى الولايات المتحدة، حيث قال:

> إنَّ خطايا هؤلاء من أعداء المسيح والمسيحيين كثيرة لا تُحصى، وتصل إلى درجة لا يمكن وصفها. إنَّها الخطايا التي يمكن أن يولِّدها خبث التنين وإلحاده، وقسوة الوحش وجشعه، وغش النبي الكاذب وخداعه، والقائمة لا تنتهي. إذ لم تُترك هناك مصلحة شخصية أو وطنية إلاّ وتعرضت للاعتداء؛ كما لم يُدَّخر أي عمل أو عاطفة آثمة ضد الله إلاّ وارتُكبت ... فهل نكون يا إخوتي شركاء في هذه الخطايا؟ وهل نقوم بإدخالها إلى حكومتنا، ومدارسنا، وأُسَرنا؟ وهل يجب أن يصبح أبناؤنا تلاميذاً لـ فولتير Voltaire، وجنوداً لـ مارات Marat، أو تصبح بناتنا محظيّات لجماعة إيلوميناتي Illuminati ؟[26]

إنَّ أحداً لم يبرهن أنّ هناك خطة يعقوبية Jacobin للإطاحة بالولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن الخوف من تهديدات كهذه خلق مشاعر الاضطهاد، وخصوصاً فيما بين ماسونيّي نيو إنجلاند، وكان ذلك إلى حدٍّ كبير نتيجة لمفاهيمهم المتعلقة بالعالم الموجود وراء التخوم الأمريكية.

لقد فزع الكثير من الأمريكيين من الانتصار الدموي للعقل على الدين في فرنسا، ومن ظهور دولة ديمقراطية علمانية مبنية على قيم الفرديّة. وإنَّ هذه القيم التي جاءت عن طريق عمليات الحصار العنيف، والتطهير السياسي، والإعدامات حوَّلت خوفهم إلى رعب مُطلق. لقد شكَّل مقتل الملك لويس السادس عشر King Louis XVI في يناير (كانون الثاني) من عام ١٧٩٣ صدمة قاسية، وذلك حسبما أشار فيرنون ستوفر Vernon Stauffer في كتابه بعنوان "نيو إنجلاند وجماعة إيلوميناتي البافاريّة" New England and the Bavarian Illuminati؛ حيث بَدَت جريمة قتل ملك فرنسا

للأمريكيين على أنها "مجرد حادثة في عربدة مسعورة من العنف الجامح وإراقة الدماء"[27]. كان الاضطراب عبارة عن تذكير دمويٍّ من المشاهد المألوفة قبل ١٧ عاماً، عندما أضاء وهج الصواريخ الأحمر سماء الساحل الشرقي، في ثورة أدَّت إلى تحرر أمريكا من قبضة التحزِّب للمَلَكية. أما ما يخصُّ أنصار الفيدرالية والجيفرسونيِّين على حد سواء، فقد كانت فكرة استرجاع مثل هذه المعركة أمراً يصعُب تحمُّله. وكما يشير ريتشارد هوفستاتر Richard Hofstadter في كتاب عنوانه "الأسلوب الجنوني في السياسة الأمريكية" *Paranoid Style in American Politics*، فإن المنابر والحانات في نيو إنجلاند كانت تصدح بمواقف الاستنكار من الغزو القادم من جماعة إيلوميناتي ومن اليعقوبيِّين، كما لو كانت البلاد قد امتلأت بالفعل بالغزاة الأجانب المتعطِّشين للدماء[28]. وقد جاء التعبير عن الرعب العام في الأسطر الآتية المأخوذة من أحد الانتقادات في ذلك الوقت:

عندما يستولي الغوغاء المنتصرون على مقاليد الأمور،
ويوجِّهون دفَّة الدولة،
سوف يشعر الملوك بالأصفاد الحاقدة،
ويواجهون أبشع مصير،
فمثلاً، انظر ما حصل بشواطئ بلاد الغال،
كانوا أمة مهذبة على مر الزمان،
شاهد كيف سادت فيهم الفوضى،
كانت كالنجم الساطع الإشراق.
ثم من البحر، ارتعدت من الخوف،
فقد هلك لويس،
قطع الغوغاء الهمجيّون رأسه،
وشربوا من دمه المُسال.[29]

* * *

لقد عاد تهديد جماعة إيلوميناتي إلى الظهور بعد مئتي عام. حيث إنه خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٠٨، تردَّدت إشاعات في بعض الأوساط التي كانت تقول بأن المرشح الديمقراطي-باراك أوباما-كان عضواً في جماعة إيلوميناتي، وأنَّه وبالاشتراك مع متآمرين من سيئي السمعة في شيكاغو، كان يخطط للاستيلاء على أمريكا فور انتخابه. وذكر أحد التقارير أنَّه "من إحدى الحقائق الأكثر إثارة للخوف في خطة إيلوميناتي-أوباما أنها تنطوي على دمج الولايات المتحدة، والمكسيك، وكندا في اتحاد أمريكا الشمالية"[30]. و"سوف يقوم هذا الاتحاد باعتماد عملة جديدة تُسمّى حالياً أميرو Amero، وسوف يكون هذا الاتحاد مرتبطاً بشبكة جديدة من الطرق السريعة ... وكلّما درسنا العلاقة بين إيلوميناتي وأوباما، كلّما أصبح من السَّهل أن نرى كيف كان له دور فريد يلعبه في تحقيق النظام العالمي الجديد الذي كان قيد التطوير لعدد من العقود الماضية"[31].

* * *

وفي أوائل العقد الأول من العام ١٨٠٠، كانت المخاوف من مؤامرة تخريبية لجماعة إيلوميناتي بالكاد قد هدأت عندما ظهرت حكايات تتحدّث عن استيلاء كاثوليكي. وبدأ البعض ممن نصَّبوا أنفسهم أوصياءً على الديمقراطية الأمريكية، وكانوا يرتابون من العدد المتزايد للمهاجرين من الأيرلنديين والألمان، بالتكهّن حيال خطة شريرة لاقتلاع القيم البروتستانتية السائدة واستبدالها بنموذج استبداديٍّ كاثوليكي. لم يكن هناك سبب وجيه يستدعي الخوف من المَد المتصاعد لهذه الهيمنة؛ إذ إن الكاثوليك الذين كانت أعدادهم تصل إلى ٣٠,٠٠٠ كانوا منتشرين في جميع أنحاء البلاد التي يبلغ عدد سكانها ٤ ملايين. ومع ذلك، وبحلول العام ١٨١٠، ارتفع هذا العدد ليصل إلى ٧٥,٠٠٠، وبحلول العام ١٨٤٠ كان أكثر من مليون كاثوليكي قد

استقروا في الولايات المتحدة. لقد أجبرت التغييرات في الحكومة الفرنسية مجموعات جديدة على العيش في المنفى، ولجأ الكثير منهم إلى أمريكا، وهي الجمهورية الجديدة التي رفعت قيم الحرية الدينية والتحرّر. وكان عدد من هؤلاء المهاجرين الجدد من القساوسة الكاثوليك، الذين نظَّموا الكنائس، والأبرشيات لاستيعاب التزايد في عدد السكان من إخوانهم في الدين. وبحلول العام ١٨٢٠، كان المهاجرون الكاثوليك قد أنشؤوا أبرشيات في تشارلستون، وشيكاغو، وديترويت، وبتسبرغ، وكليفلاند، وجالفستون. وبالإضافة إلى ذلك، فقد توسَّعوا في تعاليمهم الدينية إلى الفصول الدراسية، وبناء المدارس والمعاهد الدينية التحضيرية الكاثوليكية في بعض الولايات.

لم تكن الموجة المفاجئة من الحماس الديني بين المهاجرين الكاثوليك لتمرَّ دون أن يلاحظها أحد في الأوساط البروتستانتية. كما أنَّ الثورة الأميركية–التي أضفت إحساساً قويّاً من الوحدة الوطنية–جعلت الأمريكيين أكثر إدراكاً للمهاجرين. وكانت الغالبية العظمى من القساوسة والراهبات الكاثوليك من الفرنسيِّين، أو البلجيكيِّين، أو الأيرلنديِّين، وكثير منهم كان يحمل أسماء أجنبية. وقام المبشِّرون الأوروبيِّون بتمويل المجتمعات الوليدة؛ مما أدّى إلى زيادة الشكوك حول وجود مؤامرة تجري حياكتها. وكان صاموئيل إف. بي. مورس Samuel F.B. Morse من أوائل الناس الذين تحدَّثوا عن الموضوع علناً، ومورس هو مخترع التلغراف وابن جيديدايه مورس، الذي حثَّ قبل ٣٧ عاماً سكان نيو إنغلاند للاهتمام بتحذيراته حيال تهديد إيلوميناتي. وفي عام ١٨٣٥، نشر مورس كتاباً عنوانه "المؤامرة الخارجية ضد الحريات في الولايات المتحدة" *Foreign Conspiracy Against the Liberties of the United States*، وهو كتاب سعى إلى إثبات وجود مؤامرة كاثوليكية؛ إذ كتب مورس بوضوح "توجد هناك مؤامرة، وإنَّ خطط هذه المؤامرة هي قيد التنفيذ بالفعل ... وإنَّنا نتعرَّض لهجوم

في المكان الضعيف الذي لا يمكننا أن ندافع عنه باستخدام سفننا، أوموانئنا، أو جيوشنا"[32]. ويكمن جوهر حجة مورس في التعاملات السياسية لـ كليمينز فون ميتيرنيخ Klemens Von Metternich، وهو سياسي ألماني نمساوي، ورجل دولة معروف لريادته لمؤتمر فيينا- الذي يُعدُّ محاولة رجعية لاستعادة المَلَكيِّات القديمة والحفاظ عليها ضد الأفكار الجمهورية والقومية الجديدة. وكتب مورس قائلاً: إنَّ "النمسا تعمل الآن في هذا البلد، لقد وضَعَت مخطَّطاً كبيراً، كما نظَّمت خطة عظيمة لفعل شيء هنا ... ولديها المبشِّرون اليسوعيِّون الذين يسافرون عبر الأرجاء؛ وقد أمدَّتهم بالمال، وقامت بتجهيز المصدر بهدف إمدادهم بانتظام". ومن ثم قام بتقديم تصوير لزيادة الإيضاح، وذلك عن طريق تحذير القرَّاء من أنَّ "الثعبان قد بدأ بالفعل بالالتفاف حول أطرافنا، وأنَّ الخُدار الناجم عن سُمِّه يزحف فوق رؤوسنا"[33].

لقد ساهمت تأمُّلات مورس في بلورة الاعتراض على المجتمع الكاثوليكي المتزايد، كما أنَّ فكرة المؤامرة العدوانية قد جرى زرعها بقوة في أذهان البروتستانت الذين كانوا يخشون من أنَّ التدفق الجماعي للمهاجرين الجدد سوف يستولي على أنحاء البلاد. وفي ذات العام الذي صدر فيه كتاب مورس، ظهر في السوق كتاب آخر معادٍ للكاثوليكية، وانتشر على نطاق واسع بين المجتمعات الأمريكية التي كانت ترتعد خوفاً. وقام لايمان بيتشر Lyman Beecher–وهو قِسٌّ من الكنيسة المشيخيَّة من مدينة نيو هايفن New Haven –بنشر كتاب عنوانه "نداء للغرب" *Plea for the West*. وكان الكتاب عبارة عن نداء من أجل الحصول على التمويل من المبشِّرين والدعاة لإنقاذ الغرب من المد المتصاعد للكاثوليكية. وعن طريق التأكيد على طبيعة الدين المناهضة لأمريكا، أشار بيتشر إلى أنَّ "مجموعة من الرجال يتصرَّفون على نحو منهجي ومثابر لأغراضهم الخاصة" قد "يشعلون ويقسِّمون الأمة [أمريكا]، ويقطعون رباط اتحادنا،

ويدمِّرون مؤسساتنا الحرة "[34]. وكان بيتشر شخصاً بارعاً في الأوساط البروتستانتية، وعن طريق وضع "تدابير جديدة" للكنيسة الإنجيلية، كان ينظر إلى الكاثوليكية باعتبارها تهديداً ليس فقط للمسيحية، بل إنَّما لأمريكا وللعالم، وكانت خطبه حول هذا الموضوع تحثُّ أتباعه على الانخراط في العنف. وفي عام ١٨٣٤، وبعد إلقاء خطاب حول كتابه الجديد، اقتحمت مجموعات من البروتستانت أحد الأديرة الكاثوليكية في بوسطن، وقاموا بإحراقه عن آخره، كما أدَّت رسالة بيتشر القوية إلى انخراطه بالصحوة الكبيرة الثانية–وهي حركة نهضوية دينية جرى تصميمها لمعالجة شرور المجتمع قبل المجيء الثاني ليسوع المسيح. ومن وجهة نظر بيتشر وآخرين، فإن الكاثوليكية بلا شك تُعدُّ واحدة من تلك الشرور.

وبحلول العقد الأول من العام ١٨٤٠، كانت المشاعر المعادية للكاثوليكية قد وصلت إلى ذروتها، في الوقت الذي تحوَّل فيه الشك والخوف العام إلى صناعة تتَّسم بالاستياء البروتستانتي. وظهرت أول مجلة أسبوعية مناهضة للكاثوليكية في عام ١٨٣٠ وكانت بعنوان "البروتستانتي" *The Protestant*، وتبعتها مجلة "المؤيّد للإصلاح" *Reformation Advocate*، و"الأمريكي الأصلي" *Native American*، و"كشف الكهنوت" *Priesthood Exposed*، وكانت جميعها مخصَّصة لفضح شرور البابوية. كما أنَّ استثمار المشاعر المناهضة للبابوية وجد طريقه أيضاً إلى الأعمدة الافتتاحية في الصحف اليومية، بما في ذلك المقال الآتي من صحيفة "تكساس تايمز" *Texas State Times* في ١٥ سبتمبر (أيلول)،١٨٥٥:

> إنها لحقيقة شائنة أن يقوم ملوك أوروبا، والبابا في روما في هذه الأوقات بالذات بالتآمر بهدف تدميرنا والتهديد بإزالة مؤسساتنا السياسية، والمدنية، والدينية. ولدينا أهم الأسباب للاعتقاد بأن الفساد قد وجد طريقه إلى الإدارة التنفيذية لدينا، وأنَّ رئيسنا

التنفيذي قد تلوَّث بسُمِّ الكاثوليكية المُعدي ... لقد بعث البابا مؤخراً سفير خارجيته لهذا البلد في مهمَّة سرية، التي كان من نتائجها جرأة غير عادية من الكنيسة الكاثوليكية في جميع أنحاء الولايات المتحدة ... إنَّ موظفي البابا يتطاولون على أعضاء مجلس الشيوخ لدينا؛ ويُعنِّفون رجال الدولة؛ ويروِّجون للاتحاد اللاشرعي بين الكنيسة والدولة؛ ويسيئون التعامل مع الافتراءات الباطلة لجميع الحكومات ما عدا الكاثوليكية؛ ويقذفون بأبشع الشتائم على كل ما هو بروتستانتي[35].

ولم تكن هناك، كما أثبت التاريخ، مؤامرة لتصيب الحكومة الأمريكية البروتستانتية عموماً بـ "السُّم المُعدي للكاثوليكية". ومع ذلك، فقد كانت المخاوف من اختراق الحكومة قد أُثيرت بسبب تحرير الكاثوليكية في بريطانيا، وأيرلندا خلال السنوات الأولى من العام ١٨٠٠. وكان صوت دانيال أوكونيل Daniel O'Connell من أعلى الأصوات التي طالبت بإعطاء الفرصة للكاثوليك الأيرلنديين لكي يصبحوا أعضاء في البرلمان. وكان أوكونيل ناشطاً سياسيّاً أيرلنديّاً، وأصبح فيما بعد عمدة دبلن Dublin، كما قام بتأسيس الجمعية الكاثوليكية في عام ١٨٢٣–وهي مجموعة الضغط التي أثَّرت بنجاح على الحكومة البريطانية لتشمل المشرِّعين من الكاثوليك. لكن حملة أوكونيل لم تنته عند هذا الحد، حيث إنه عقد خلال الخمسينيّات من القرن التاسع عشر سلسلة من "الاجتماعات الضخمة" في أنحاء كثيرة من أيرلندا؛ على أمل حشد التأييد الشعبي الكافي لإلغاء قانون الاتحاد Act of Union الذي قام بدمج برلمانات بريطانيا وأيرلندا في عام ١٨٠١. وحضر تلك الاجتماعات ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ شخص، وعلى الرغم من أنَّ الاجتماعات كانت غير ناجحة في نهاية المطاف، إلاّ أنها سبَّبت قلقاً بالغاً لدى الحكومة البريطانية[36].

لقد كانت الزيادة في المشاركة السياسية الكاثوليكية في أوروبا مخيفة بما فيه الكفاية بالنسبة لبعض قادة أمريكا البروتستانتيِّين الذين كانوا يراقبون المشهد وهو

يتكشَّف عن بُعد. ولكن بحلول عام ١٨٥٥، كانت المخاوف من مؤامرة تخريبية كاثوليكية هدفها تقويض الحكومة الأمريكية قد نمت على نحو هائل، إلى درجة أنها تسبَّبت بأعمال عنف في إحدى المناطق من الولايات المتحدة. وفي ٦ أغسطس،١٨٥٥، اليوم الذي بات يُعرف فيما بعد باسم "الاثنين الدامي"، اندلعت أعمال شغب خاصة بالانتخابات عندما ظهرت شائعات تشير إلى أنَّ الكاثوليك قد تدخَّلوا في عملية التصويت في منافسة بين الديمقراطيين وحركة "لا نعرف شيئاً" Know-Nothing، وهي جماعة سياسية أمريكيّة أهلانيّة [تقوم على حماية مصالح أهل البلاد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين] كانت قد شجَّعت المخاوف الشعبية، وتشكَّلت نتيجة العداء تجاه المهاجرين.

وجاءت تسمية جماعة "لا نعرف شيئاً" نسبة إلى أعضائها الذين يُطلب منهم الإجابة على أية أسئلة تتعلق بمنظَّمتهم بعبارة "لا أعرف"، وقد نشأت في مدينة نيويورك في عام ١٨٤٣ باسم الحزب الجمهوري الأمريكي. وتتألف أساساً من الذكور البيض البروتستانت، كما تلقَّت الدعم على نطاق واسع بالوقت الذي كانت فيه الموافقة العامة على الهياكل الحزبية القائمة قد تضاءلت. ومثل حزب الشاي في العصر الحديث، فقد قدَّمت الجماعة المرشحين الذين تحدّوا السياسيين من النخبة؛ وقد دوَّت رسالتهم بين السكان الذين أصيبوا بخيبة الأمل من الاقتصاد الرديء، وكانوا يتخوّفون من انهيار القيم الأميركية الفريدة.

على أية حال، كان تشكُّل هذه النزعة الأهلانيّة عند جماعة "لا نعرف شيئاً" قويّاً جدّاً، حيث تجمّع حشد كبير حول إحدى الكنائس الكاثوليكية في شوارع مدينة لويفيل في ولاية كينتاكي، وقاموا بضرب ٢٢ ألمانيّاً وأيرلنديّاً من المهاجرين الكاثوليك حتى الموت. وكان المسؤول عن تغذية العنف جزئيّاً شخص يُدعى جورج برينتيس

George Prentice، وهو محرِّر في مجلة لوويفيل جورنال *Louisville Journal* ومن المناهضين للكاثوليك. وكان برينتيس من المؤيِّدين الأشدّاء لحزب "لا نعرف شيئاً"، وقد قام بنشر لهيب الخوف قبل يومين من حمام الدم، حيث ذكر في مقالة افتتاحيّة أنَّ المواطنين الأيرلنديين والألمان لهم "التأثير الأكثر خطراً من بين الجماعات الأجنبية"[37]. لكنه اعتذر لاحقاً عن تصريحاته، التي عدَّها الكثير السبب الذي أدّى إلى التحريض على المجزرة. وكان من بين عدد من الردود الحادة التي وُجِّهت إلى مجلة لوويفيل جورنال، تلك التي جاءت على لسان أحد الكُتَّاب-وهو "كاثوليكي من ولاية كنتاكي"-تطرَّق فيها إلى قيام برينتس باصطياد الخوف:

> هل السيد برينتس متعصِّبٌ لهذه الدرجة لكي يصدِّق ولو شيئاً بسيطاً من التُّهم التي وجَّهها إلى الكنيسة الكاثوليكية؟ بالنسبة لي، فإنني أعتقد أنَّ الوحش الذي يقاتله هو مجرَّد شخصية من الكرتون والقماش، صنعها بنفسه، وقام بتلوينها بالألوان الأكثر شيطانية، وقد وضَعها لغرض مزدوج بهدف تخويف المملكة الطفولية لجماعة "لا نعرف شيئاً" ويُفقدها صوابها، ولكي يُظهر لهؤلاء الأبرياء المذعورين، والبسطاء أنه لا يوجد هناك شيء يخشونه طالما هو موجود. دعوهم فقط يهتموا *بالإمدادات*، وسيقوم هو بمتابعة الحرب[38].

وفي السنوات الأخيرة من العام ١٨٨٠، تحوَّل الخطاب المناهض للكاثوليكية إلى حركات سياسية وليدة أخرى، ابتدأت مع تأسيس جمعية الحماية الأمريكية American Protective Association (APA) في عام ١٨٨٧. وكانت الجمعية تضمُّ في أوجِها أكثر من ثلاثة ملايين عضو، وكان الكثير منهم من البروتستانت الأيرلنديين الذين ينتمون أيضاً إلى نظام أورانج Orange Order، وهو عبارة عن منظمة أخويَّة في شمال أيرلندا كانت قد عزَّزت سيادة الكتاب المقدس، وقادت احتجاجات عنيفة مناهضة للكاثوليكية. وبما أنّ جمعية الحماية الأمريكية لم تكن مرتبطة بأي حزب سياسي

معيَّن، فقد سعت لبسط نفوذها في جميع أنحاء الطيف السياسي، متوجِّهة إلى رجال الدولة من الديموقراطيين والجمهوريين الذين كانوا يؤيدون الاندماج الديني، أو ممن كانوا يلتزمون بالعقيدة الكاثوليكية. وبالإضافة إلى تقييد الهجرة الكاثوليكية، فقد شملت أهداف الجماعة على طرد المعلمين الكاثوليك من أنظمة المدارس العامة، وإبعاد الكاثوليك عن المناصب العامة، وجعل إتقان اللغة الإنجليزية شرطاً أساسياً للحصول على الجنسية الأمريكية. وتنضوي المبادئ الرئيسة لجمعية الحماية الأمريكية على أنَّ "الخضوع إلى أو دعم أي سلطة كنسيِّة لم يُشكِّلها أو يسيطر عليها مواطنون أمريكيِّون–والتي تدَّعي السيادة على قدم المساواة، أو ربَّما أكبر، مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية–هو أمرٌ لا يمكن أن يتوافق مع مبدأ المواطنة الأمريكية"[39].

لقد تجاوزت المخاوف من الهجرة الكاثوليكية إلى ما هو أبعد من المجال السياسي، وإلى داخل الثقافة الشعبية في أواخر التسعينيات من القرن التاسع عشر. وكانت الاختلافات في التقاليد الدينية البروتستانتية والكاثوليكية، وعلى رأسها تفسير القربان المقدس، قد مرَّت من خلال عدسة المؤلف برام ستوكر Bram Stoker في روايته بعنوان "دراكولا" *Dracula*. وكانت الرواية قد نُشرت للمرة الأولى في عام ١٨٩٧، وكانت حكاية المؤلف ستوكر عن الكونت مصّاص الدماء ومقرّه في ترانسيلفانيا، تزخر بالرمز إلى الكاثوليكية، وكانت تُقرأ على نطاق واسع في أوساط البروتستانت الذين يعتقدون –على النقيض من الكاثوليك–بأن الخبز والنبيذ يرمزان إلى دم يسوع المسيح وجسده (يؤمن الكاثوليك بمبدأ الاستحالة–أي أن الخبز والنبيذ يتحوَّلان إلى دم يسوع المسيح وجسده بالفعل). وصوَّر المؤلف شخصية الكونت دراكولا باعتباره من الغزاة المعادين للمسيح، الذي كان يعد بالحياة الأبدية ليس من خلال امتصاص النبيذ المقدَّس الرمزي الذي يمثِّل دم المسيح، ولكن من خلال دم

الإنسان الحقيقي. وبعيداً عن القُدسيَّة، فإنه يوجد هناك عنصر وحشي معيَّن لعبارة "من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة الأبدية"[40]. وعلى مر التاريخ، كانت الوحوش المختلفة تعتمد في سبل عيشها على هذا الاستهلاك. فقد كان الدم، بالنتيجة، مصدر الحياة لمصاص الدماء، كما أنه يُغذّي المخلوقات المنحرفة الأخرى بما في ذلك الشبح اليوناني Greek Empuse، والبوم الرومانية Roman Strix، وحتى مصّاص دماء الماعز في العصر الحديث El Chupacabra".* ومن ناحية أخرى، فقد كان اللحم يُغذّي وحوشاً مثل الوحش جريندل Grendel، والمينوتور اليوناني Greek Minotaur، والذئاب الضارية؛ حيث كانت هذه الأخيرة من الوحوش التي كان بعض الكاثوليك في القرن الثامن عشر يعتقدون أنها عبارة عن تقمّصات وحشية للمطرودين من أبناء الأبرشيّة.

* * *

لقد أرخت أسطورة الحرب الكاثوليكية الوشيكة بظلالها إلى مرحلة لا بأس بها من القرن العشرين. وفي الوقت الذي عاد فيه تهديد جماعة إيلومیناتي البافاريّة مرة أخرى إلى الحياة السياسية السائدة خلال موسم الانتخابات من العام ٢٠٠٨، كان هناك أيضاً إحياء للخوف من الكاثوليكية خلال فترة مثيرة للجدل في السياسة الأمريكية. ففي العام ١٩٦٠، تأهَّب جون إف كينيدي John F. Kennedy لخوض الانتخابات ضد ريتشارد نيكسون Richard Nixon بهدف تحديد الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة. وكان كينيدي من الكاثوليك الأيرلنديين، وينحدر من

* حيوان "التشوباكابرا" أو "مصاص دماء الماعز" هو مخلوق متملِّص أحمر العينين، وشائك الشعر، كان يتردَّد على جنوب الولايات المتحدة، وكان يقتل فريسته ويشرب دمها. وفي فبراير (شباط) ٢٠٠٦، انتشرت الشائعات التي تتحدّث عن المخلوق مما جعل بعض الأولياء في ولاية تكساس يبقون أطفالهم داخل المنازل خشية أن يصبحوا وجبة الوحش التالية.

ولاية ماساتشوسيتس (حيث اندلعت حالة من الذعر ضد جماعة إيلومیناتي البافاريّة في أواخر العام ١٨٩٠)، وقد تعرَّض للانتقاد بسبب معتقداته الدينية. ورأى البعض أنّ احتمال وصول أول رئيس كاثوليكي إلى سُدّة الحكم يُعدُّ مؤشراً مؤكّداً على أنّ البلاد كانت تسير في اتجاه الحكم البابوي. وتساءل نورمان فينسنت بيل Norman Vincent Peale –القس البروتستانتي الأبرز في البلاد ورئيس منظمة تدعى "المؤتمر الوطني للمواطنين من أجل الحرية الدينية"–عمّا إذا كان باستطاعة الرئيس الكاثوليكي أن ينأى بنفسه عن الكنيسة في روما على نحو فعال. وأشار بيل إلى أنّ "ثقافتنا تتعرّض للخطر وهي تواجه انتخاب مواطن كاثوليكي. كما أنه لا يمكننا أن نتخيّل أنَّ رئيساً من الروم الكاثوليك لن يكون تحت ضغط شديد من جهة التسلسل الهرمي لكنيسته بحيث يوافق على سياساتها فيما يتعلّق بالمصالح الأجنبية"[41].

* * *

"آه، أيها القمر الصناعي الصغير Sputnik، إنك تطير عالياً
وتحمل صفّارة مصنوعة في موسكو.
إنك تقول للعالم أنها سماء اشتراكية،
وأنّ العم سام نائم.
تقولها على الممر وعلى الخام
الكرملين يعرف كل شيء.
نتمنى أن يكون لاعب الغولف لدينا يعرف بما فيه الكفاية
كيف يجعلنا نحصل على الكرة"[42].

عندما كتب الحاكم الديمقراطي لولاية ميشيغان–جي مينين وليامز G.Mennen Williams–هذه القصيدة في أكتوبر ١٩٥٤، كان ازدياد الاشتباه في الاتحاد السوفياتي قد تفاقم ليصبح مناخاً سياسياً متوتراً يتّسم بشعور هائل من الهزيمة الوطنية

والإذلال. ومع إطلاق سبوتنيك Sputnik–أول قمر صناعي يدور حول الأرض–كان السوفيات قد وجّهوا لأمريكا ضربة مدمرة في سباق الفضاء–وهي المنافسة بين القوتين العالميتين للسيادة على مساحات مجهولة من الكون. تلقّى الأمريكيون نبأ إنجاز مثل هذا العمل الفذ بإحساس من الذهول، وألقوا بمخاوفهم على الرئيس أيزنهاور Eisenhower، حيث وجّهوا له اللوم بسبب السماح للسوفييت بالتفوّق على الأمريكيين، كما أنّ صورته لم تتحسَّن إثر خروجه إلى ملعب الجولف بعد أيام فقط من افتتاح عصر الفضاء. وذَكَر مؤرِّخ وكالة الفضاء ناسا روجر لونيوس Roger Launius أنَّ "[أيزنهاور]هو رئيس مبتسم غير كفء... يلعب الغولف، و'لايفعل شيئاً'،ويسيئ إدارة الأحداث"[43]. وعبَّر زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ليندون جونسون Lyndon Johnson عن وجود شعور قومي يتَّسم بالحيرة والإلحاح: "في الغرب الشاسع، أنت تتعلَّم كيف تعيش على نحو وثيق مع السماء، فإنّ ذلك هو جزء من حياتك. ولكن الآن، بطريقة ما، أو بطريقة أخرى جديدة، تبدو السماء غريبة تقريباً؛ إذ إنّ السوفيات يمكن في يوم من الأيام أن يمطرونا بالقنابل من الفضاء، تماماً مثل الأطفال الذين يرمون الحجارة على السيارات من أعلى جسور الطرق السريعة"[44]. إنّ كرة التيتانيوم الدافعة للصواريخ–التي هي بحجم كرة الشاطئ–كانت رمزاً قويّاً لوحش أيديولوجي أضخم قام بإثارة المشهد السياسي العالمي لأكثر من عشر سنوات: إنه الشيوعية.

* * *

عندما انتُخب جوزيف ماكارثي Joseph McCarthy إلى عضوية مجلس الشيوخ الأمريكي في العام ١٩٤٦، كان التهديد السَّام للشيوعية قد بدأ يعبِّر عن نفسه في عدد من الطرق القاتلة؛ حيث جرت الإطاحة بالحكومة التشيكوسلوفاكية الديمقراطية،

وكانت الحرب الأهلية الصينية قد عاثت فساداً في جميع أنحاء آسيا ونشرت الموجات الصادمة عبر المحيط الهادئ. لقد كان التأثير السوفياتي في وضعية الانتشار، وأصبح المشهد السياسي العالمي-الذي تفاقم نتيجة لأول تفجير روسي للقنبلة الذرية وحمام الدم في كوريا الشمالية-يبدو قاتماً.

كانت الأحداث العالمية المؤثِّرة-مع استثناءات قليلة-تحدث دائماً في أماكن بعيدة؛ فقد كانت الوحوش توجد "هناك"، خارج حدود أمريكا، على الرغم من أنّ وجودهم كان مُدركاً في جميع أنحاء البلاد. على أية حال، ومع بداية الحرب الباردة، كان هناك شعور قوي من الاضطهاد قد ازداد سوءاً في أماكن متعدِّدة من أنحاء البلاد. وكان المتخوِّفون يرون أنَّ الشيوعية ليست فقط هجوماً على القيم الأمريكية فحسب، بل إنَّها تشكِّل اعتداءً شخصيّاً ضدَّهم. وقدَّم هذا الجو المشحون بالخوف والذعر لماكارثي فرصة لإحياء نظريات المؤامرة التي كانت تملؤ الروايات الأمريكية لفترات طويلة. وعن طريق الإشارة إلى الأحداث الأخيرة كدليل على وجود عاصفة مروِّعة تلوح في الأفق، كان ماكارثي يأمل في تحقيق النجومية السياسية من خلال فضح ما يراه تهديدات داخليّة، ومن ثمَّ إنقاذ الشعب الأمريكي من كارثة كبيرة.

وعلى النقيض من المؤامرات التاريخية السابقة-حيث كان المحرِّضون إلى حد كبير من العملاء الأجانب-فقد رأى ماكارثي أن الشيوعية قد تسلَّلت إلى النظام السياسي الأمريكي، وأنَّ أخطر التهديدات التي تواجه المواطنين تتمثّل في "رجال الدولة البارزين الجالسين في مراكز القوة الأمريكية ذاتها"[45]. وبما أنه يجوز للمرء أن يكون شيوعياً، فإن جوهر ادِّعاءات ماكارثي يكمن في مزاعمه المتعلّقة بالتخريب، حيث كان يعتقد أنَّ هناك عملية سرية عنيفة تتَّجه لتفكيك النظام السياسي الأمريكي من الداخل. وفي التاسع من شهر فبراير(شباط)،١٩٥٠، عرض ماكارثي-الذي كان

يتحدّث من مدينة ويلينغ Wheeling في ولاية ويست فيرجينيا–أولى تحذيراته من سيطرة الشيوعيين:

> يمكننا اليوم أن نسمع فعليّاً التمتمة والتذمر من إله الحرب المتحفِّز. يمكنكم أن تروا ذلك، وتشعرون به، وتسمعونه على طول الطريق من تلال الهند الصينية، ومن شواطئ فورموزا، ومباشرة إلى قلب أوروبا نفسها ... واليوم، نحن منخرطون في معركة نهائية شاملة بين الإلحاد الشيوعي، وبين المسيحية. لقد حدَّد أبطال الشيوعية المعاصرين هذا الوقت لتلك المعركة، وأيّها السيدات والسادة، إنَّ الوضع خطير، إنه خطير حقّاً[46].

وبمجرّد أن ضبط ماكارثي النبرة المشؤومة التي تضع الحرب الباردة في سياق معركة دينية مسيحية، قام بتزويد تفاصيل المؤامرة التي سوف تهزُّ الأمة بالتأكيد:

> إنَّ السبب الذي يكمن وراء موقفنا العاجز هو ليس قيام عدونا المحتمل القوي بإرسال رجاله لغزو شواطئنا، بل إنما بسبب أفعال أولئك الخونة الذين تلقّوا التكريم من هذه الأمة. لم يرتكب البؤساء، أو أفراد من الأقليات فِعل الخيانة بحقِّ هذه الأمة، وإنما أولئك الذين يتمتعون بكل المزايا التي تمنحها لهم الأمة الأغنى على وجه الأرض، مثل البيوت الفارهة، والتعليم الجامعي الجيد، وأفضل الوظائف في الحكومة التي يمكن أن نقدِّمها لهم، وإنّ هذه الحقيقة جليّة تماماً في وزارة الخارجية مثل وضوح الشمس. هناك، نجد أنّ الشباب اللامع الذين يولدون والملاعق الفضية في أفواههم هم الذين كانوا من أشدِّ الخونة. ولدي هنا في يدي قائمة تحتوي٢٠٥ أسماء، وقد جرى إعلام وزارة الخارجية بهم من حيث انتمائهم للحزب الشيوعي، والذين مع ذلك ما زالوا يعملون في تشكيل السياسات في الوزارة المعنيَّة[47].

وسرعان ما اندلعت هستيريا بين الجمهور الأميركي؛ إذ أصبح من الواجب اجتثاث أولئك الشيوعيين المزعومين من جذورهم حتى لا يقوموا بنشر عقيدتهم الخطِرة. وعلى الرغم من اعتراضات الكثير من السياسيين، فقد أطلق ماكارثي ما سُمِّي

في وقت لاحق بـعملية "مطاردة الساحرات"، بحيث تجوب الأوساط السياسية والاجتماعية بحثاً عن الشيوعيين المشتبه بهم. وعن طريق استخدام سياسة الترهيب الشديد والتهديد بالسجن، قام السيناتور عن ولاية ويسكونسن بتصعيد الأمر عندما كشف عن أسماء المئات من عملاء الشيوعية، الذين يعملون سرّاً على الرغم من عدم وجود الأدلة الكافية لديه التي تُعزِّز ادِّعاءاته. وتسبّب هذا الأمر بالضرر على مِهَن الناس، وسُمعتهم إلى غير رجعة، كما سُجن مئات من الشيوعيين المشتبه بهم، وخسر أكثر من ١٠,٠٠٠ من الأمريكيين وظائفهم. وعلى أية حال، لم تكن هناك في النهاية قناعات بوجود مؤامرات تخريبية تهدف إلى تدمير أمريكا. "لقد أصبح من الواضح الآن أن الإدارة الحالية قد تبنّت سياسة ماكارثية على نحو كامل، وذلك لقاء مكاسب سياسية"، هكذا قال هاري ترومان Harry Truman في عام ١٩٥٣، بعد أن كان قد ترك منصبه:

> إنني لا أشير إلى عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ويسكونسن؛ إذ إنه يكتسب أهمية فقط لحقيقة أنَّ اسمه يحمل أحد المعاني في القاموس. إنه يعبِّر عن فساد الحقيقة، والتخلي عن الإجراءات القانونية السليمة. إنه استخدام الكذبة الكبيرة، والاتهام الذي لا أساس له ضد أي مواطن تحت ذريعة الولاء لأميركا، أو ذريعة الأمن. إنَّ الأمر يتعلق بازدياد قوة الغوغاء الذين يعيشون على الكذب؛ إنه نشر الخوف، وتدمير الإيمان في كل مستوى من مستويات المجتمع[48].

لقد كان القلق العام بشأن الحرب الباردة–نظراً للظروف في ذلك الوقت–أمراً متوقعاً ومن الممكن تفهّمه؛ إذ إنه من الطبيعي أن يشعر الناس بالقلق حيال نظام سياسي تمكَّن أتباعه من اكتساب النفوذ فجأة في جميع أنحاء العالم. ولكن حُمّى الريبة التي أثارها ماكارثي، وزاد من تفاقمها مسؤولون حكوميون آخرون على إثر تواجد

محليّ للحركة، كانت أمراً بعيداً عن المنطق. حيث إنه من وجهة نظرهم، لم تكن الشيوعية أيديولوجية سياسية أجنبية فقط، بل هي "وحش متعدد الأوجه، وتسعى لكسب ولاء المواطنين الأمريكيين"[49]، وذلك حسبما جاء على لسان مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيه ادغار هوفر J. Edgar Hoover. أما نيال سكوت Niall Scott، مؤلف كتاب عنوانه "الوحوش والمتوحّشون" *Monsters and the Monstrous*، فقد أشار إلى أنَّ تصوير الشيوعية باعتبارها مخلوق شنيع وسام، وقادر على "حقن السم في مجرى الدم" للدول على جانبي المحيط الأطلسي، كان أمراً شائعاً في الخطاب اللفظي، والنصِّي، وحتى البصري خلال النصف الأول من القرن العشرين[50]. ومن بين الكثير من الأمثلة، نجد أبرزها تصوير "الوحش البلشفي"، حيث قام الإعلام المرئي الألماني خلال الحرب العالمية الأولى بتصوير أعضاء يساريين من الحزب الماركسي الروسي على أنهم فصيل من الحيوانات البرية، تقوم على تخريب جمال الطبيعة في أوروبا، ومطاردة النساء والأطفال على نحو شرس بهدف افتراسهم. وقام الكُتَّاب بمقارنة هذه الجماعة الاشتراكية بـ جاك السفاح Jack the Ripper، بينما صوَّر بعض الفنانين أتباع هذا الحزب بالغوريلا ذات الفراء الأحمر التي تحمل العصا، بينما تحمل ضحيتها البريئة والمذعورة التي سوف تواجه مصيرها الدموي[51].

أما في الولايات المتحدة، فقد اختار بعض الناس الفيلم وسيلة للتعبير عن المخاوف من الغزو الشيوعي، حيث جرى استخدام الأجانب؛ لتصوير التهديد القادم من جهة السوفييت غير المرغوب بهم. وفي عام ١٩٥٣، وهو العام ذاته الذي احتج فيه هربرت هوفر Herbert Hoover ضد الماكارثية، حقَّق فيلم "غُزاة من المريخ" *Invaders from Mars* نجاحاً كبيراً؛ إذ يحكي الفيلم قصة صبي صغير-اسمه جيمي- الذي يستيقظ في منتصف الليل ليجد صحناً طائراً في الفناء الخلفي لمنزله. وفي النهاية،

يتعرّض أصدقاؤه وعائلته للأسر من جهة المخلوقات الأجنبية التي قامت بالهجوم على بلدته، وعندما كانت تلك المخلوقات على وشك أن تلتهمه، يدرك جيمي أنه مجرد حلم. وأعقب ذلك الفيلم بعد ثلاث سنوات فيلم آخر بعنوان "اجتياح خاطفو الأجسام" *Invasion of the Body Snatchers*، الذي يحكي قصة مرضى في عيادة طبيب في كاليفورنيا الذين يتّهمون أحباءهم على أنهم من المخلوقات الأجنبية ولكنهم متنكرون في زي البشر؛ وفي عام ١٩٥٨، صدر فيلم بعنوان "تزوجت وحشاً من الفضاء الخارجي" *I Married A Monster From Outer Space*.

* * *

وبحلول العام ١٩٦١، تصاعدت المخاوف بشأن ازدياد المنشآت النووية في الاتحاد السوفييتي. وكان سباق التسلح قد وصل إلى حدٍّ كافٍ ليتسبَّب في نشوب حالة من الذعر، ولكن احتمال تسلّل الشيوعيين إلى الحياة السياسية والاجتماعية الأمريكية قد أضاف مستوى أخر لتلك المخاوف. وفي محاولة للتخفيف من مخاوف الناس حيال هجوم نووي، وضعت الحكومة الاتحادية "البرنامج الوقائي لحماية المدنيين"–وهو عبارة عن تدبير يقوم به الدفاع المدني يهدف إلى منع التعرض للإشعاع من خلال بناء مخابئ إسمنتية تحت الأرض. وفي شهر يوليو (تموز) من ذلك العام، أشار الرئيس كينيدي إلى أهمية هذه الملاذات الآمنة، قائلاً: "أنه في حال وقوع هجوم ما، فإنَّه يمكن إنقاذ حياة الأسر التي لم يضربها الانفجار والحريق النووي إذا قامت باللجوء إلى الملاجئ في حال كانت متوفرة. وإننا لنَدين بهذا النوع من التأمين تجاه أُسرِنا وبلادنا"[52]. وسرعان ما بدأت الملاجئ الوقائية لتظهر في جميع أنحاء الولايات المتحدة، في الوقت الذي كانت الأسر تستعد لاستقبال نسمات النشاط الإشعاعي الذي سيتْبعه بالتأكيد وابلٌ من الصواريخ السوفيتية.

واتُّخِذت أيضاً تدابير أخرى في جميع أنحاء البلاد، حيث جرى تركيب صفارات الإنذار على أعمدة الهاتف، وإشارات المرور الضوئية، في محاولة لتحذير المواطنين من هجوم نووي. وكان "التحذير ذو اللون الرمادي"–وهو عبارة عن تتابع لإطلاق أصوات قوية مدتها دقيقتين ونصف تفصلها فترات زمنية متساوية من الصمت – يشير إلى تداعيات نووية وشيكة؛ كما كانت الأصوات القوية تشير إلى أنَّ على الأمريكيين أن يلجأوا إلى الملاجئ الآمنة القريبة. أما "التحذير ذو اللون الأسود" –وهو عبارة عن ثلاثة إنذارات صوتية قصيرة تليها ثلاثة أخرى أطول منها، وتشبه كثيراً إشارة مورس للاستغاثة–فقد كان يشير إلى أنَّ الخطر أصبح وشيكاً. وإن لم يلجأ الناس إلى الكهوف الإسمنتية تحت الأرض، فقد يعني ذلك فوات الأوان. كما تضمّنت تدريبات الدفاع المدني خلال الخمسينيات والستينيات أيضاً على تمارين معروفة باسم duck and cover أي "انحنِ وغطِّ نفسك" التي كانت تجري في المدارس العامة، وتشبه تلك التدريبات إلى حد كبير التدريبات في الوقت الحاضر التي تُنفذ على مواجهة الإعصار. وعند سماع صوت التحذير الذي كان ينطلق من مكبرات الصوت الخاصة بصفارات فناء المدرسة، كان الطلاب يختبئون تحت طاولات الدراسة أو في الممرات، ويُغطّون رؤوسهم بينما يجلسون القرفصاء على شكل وضعية الجَنين. ولم تقدِّم هذه الطريقة أية حماية من تداعيات هجوم نووي–حيث إنَّ المسافة الضخمة التي تضربها الحرارة، والموجات الصادمة، والإشعاع الناجم عن هجوم ما، قد يتسبَّب بمقتل الطلاب قبل أن يكون لديهم أي فرصة للانحناء بحثاً عن ساتر.

وعلى بعد أكثر من ٨٠٠٠ ميل من أفنية المدارس التي كانت محاطة بصفارات الإنذار، والساحات الخلفية التي كانت تضم الملاجئ الواقية من التداعيات النووية، اندلع صراع عسكري استأثر باهتمام الأمة، وعزَّز المخاوف من الانتشار الدموي

للشيوعية. وكانت القوات الأمريكية قد تورَّطت على نحو متزايد في صراع وحشي ضد المقاتلين الشيوعيين من الفيتناميين الشماليين. وعلى الرغم من تزايد الموقف الرافض للحرب، إلاّ أنَّ حكومة الولايات المتحدة كانت تنظر إلى تورطها في فيتنام من خلال عدسة الاحتواء: أي وقف استيلاء الشيوعيين على فيتنام الجنوبية. وبحلول العام ١٩٦٢، كان عدد القوات الأمريكية في المنطقة قد بلغ ثلاثة أضعاف، وفي خطابه الموجّه إلى حالة الاتحاد State of the Union، قال الرئيس كنيدي: "لقد تمَّ منح عدد قليل من الأجيال على مرِّ التاريخ دور المدافع الكبير عن الحرية في ساعة الخطر القصوى، وهذا هو حظنا الجيد"[53]. ولكن التاريخ أظهر أنَّ الكثيرين بدأوا يدركون أنَّ ذلك لم يكن الحظَّ الجيد لأمريكا. وفي الواقع، فإنّ فيتنام أصبحت كابوساً وطنياً، ففي العام ١٩٦٨، شنَّت القوات الشيوعية ما يُعرف بـ "هجوم تيت" Tet Offensive الصاعق، حيث نصبت كميناً مفاجئاً تضمَّن مئة من المدن الكبرى في جنوب فيتنام، وهاجمت القوات الأمريكية على حين غرة. لقد برهن حجم الهجوم المفاجئ وضراوته أنَّ القوات الشيوعية كانت تتمتع بقدرات أكبر مما كان يدركه الكثير من الأمريكيين. وفي ذلك الوقت، كانت الحرب الفيتنامية أطول حرب في تاريخ أمريكا، وكان الغضب الشعبي في حالة تفاقم. وبدأت شعبية الرئيس الأمريكي ليندون جونسون Lyndon Johnson تتضائل على نحو متزايد، وعدَّ الأمريكيون رفضه إرسال قوات إضافية إلى فيتنام بمثابة قبول بالهزيمة. ومع اتخاذه القرار بعدم الترشح لإعادة انتخابه، تولّى ريتشارد نيكسون الرئاسة وبدأت عملية الانسحاب. وقد انتهت حرب فيتنام رسمياً في عام ١٩٧٤، واتَّجهت المواجهات العسكرية بين الدول الشيوعية والديمقراطية إلى الاضمحلال. وفي يناير (كانون الثاني) من العام ١٩٧٩، أقامت الصين والولايات المتحدة علاقات دبلوماسية بينهما، وفي يونيو (حزيران)، أفضت

الجولة الثانية من محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية SALT إلى اتفاق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يقضي بالحدِّ من تصنيع الأسلحة النووية.

وبحلول أواخر الثمانينيات من القرن المنصرم، كان "الوحش الشيوعي" في طريقه إلى الانحسار، وإلى الهزيمة في نهاية المطاف، ففي فبراير (شباط) من العام ١٩٨٩، انسحب الاتحاد السوفييتي من أفغانستان، حيث قامت قوات المجاهدين–التي كانت تموّلها وتسلِّحها الولايات المتحدة في محاولة لعرقلة الاتحاد السوفياتي، بضرب الجيش السوفياتي مجبرة إياه على التراجع. (وفي وقت لاحق، وبعد أن تبيَّن وجود علاقة بين المقاتلين الأفغان وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أطلق الكثير من الأمريكيين عليهم اسم "وحوش فرانكشتاين" –على اعتبار أنهم من إبداعات حكومة الولايات المتحدة وانقلبوا في نهاية المطاف على خالقهم بطريقة كارثية). وفي نوفمبر (تشرين الثاني)، ١٩٨٩، سقط جدار برلين–وهو حدثٌ تاريخي يشير إلى انهيار الاتحاد السوفياتي–حيث تدفق المواطنون من طرفي البناء إلى الشوارع، وتعاونوا على هدمه. وكان أحد المراقبين قد استذكر–بينما كانت الكتل الإسمنتية تنهار على رأس المواطنين المتحمسين لهدم ما رأوه فاصلاً وحشياً–بالقول "كان الجدار وحشاً؛ كان هناك ضحايا، ومعاناة، وحِصار ... لقد (كان) بذيئاً، وقبيحاً، ومكروهاً"[54]. وبعد شهر واحد، أي ديسمبر (كانون الأول)، أُعدم كلٌ من الرئيس نيكولاي تشاوشيسكو–دكتاتور رومانيا الشيوعية المتوحش–وزوجته إيلينا، وذلك في أعقاب الثورة الرومانية؛ حيث اندلعت أعمال الشغب العنيفة لمدة أسبوع ما أدّت إلى الإطاحة بحكومة البلاد. وكانت وسائل الإعلام الأمريكية تشير إلى تشاوشيسكو باسم "مصاص الدماء الأحمر لرومانيا"، وتصوِّره على أنه "وحش ذو عشرة رؤوس قام بالتسلّل إلى كل مكان، إلى المدن والقرى في الجبال، أو على شاطئ البحر، وإلى الناس الصغار والكبار، بغض النظر عن جنسهم، أو جنسيتهم،

أو دينهم، ولم يكن ليغفر أي شيء، أو يتجنب أي شيء"[55]. حتى أنّ بعض التقارير كانت تشير إلى أنه "مخلوق من الجحيم" يتغذى على دماء الأطفال المساكين الباكية. لقد سقط تشاوشيسكو على الأرض تماماً مثل جدار برلين، وكانت الأعيرة النارية التي أطلقها المقاتلون الرومان قد اخترقت جثته الهامدة، حيث طُلب إليهم إخماد ذلك المخلوق الذي لا يمكن السيطرة عليه. ومع انتهاء آخر الانتفاضات الشعبية ضد الشيوعية في الكتلة الشرقية، بدا أنَّ بعبع أمريكا قد جرى إسكاته. ولكن قبل أن ينشأ فراغ لا وجود لوحش فيه في عالم ما بعد الشيوعية، كان هناك خطر أيديولوجي أجنبي آخر قد تشكل بالفعل قبل عشر سنوات، وهو ينتظر لكي يملأ هذه الفجوة.

* * *

"في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، قلنا، يا إلهي، لقد بدأت فينا "[56]، هكذا تذكَّر بروس لاينغان Bruce Laingan، القائم بالأعمال السابق في سفارة الولايات المتحدة في طهران، أحداث الرعب في ٤ نوفمبر ١٩٧٩، عندما قام أفراد من جماعة الطلاب المسلمين من أتباع خط الإمام الخميني باحتجازه مع ٥١ آخرين من مواطني الولايات المتحدة كرهائن، في أزمة استمرت ٤٤٤ يوماً، وأثارت الرعب في قلب أمة مصدومة.

وعلى مدار زمن الأزمة، كانت التقارير الإخبارية المسائية التي تعرض صوراً مخيفة من المشهد المتوتر تصل إلى الأمريكيين عبر أجهزة التلفزة الخاصة بهم؛ كما أبقت عناوين الصحف المواطنين القلقين على اطلاع بأحدث التطورات. ومع انتهاء كابوس الأزمة، أصبح من الواضح وجود تهديد عنيف جديد، وقادم من الخارج- حيث استيقظ الوحش المسلم المتطرف؛ وكما هو الحال مع الشياطين الأيديولوجية التي كانت تجوب المشهد الأمريكي من قبل، فقد كان العدو الجديد حريصاً على محو

قيم الحرية والعدالة، وفرض عقيدته الخطِرة على الضعفاء والكارهين له. وكما كان حال الوحوش من قبل أيضاً، فقد وُلد من ثورة سياسية؛ تمثّلت بالإطاحة بالنظام الملكي الإيراني في عام ١٩٧٩ من قِبل أنصار آية الله الخميني-الذي اتّصف بعيون داكنة، ووجه متحجِّر -والذي أدّى تفسيره الصارم للإسلام إلى انتفاضة متزمتة مناهضة للغرب؛ حيث ذكر الخميني أنَّ "أمريكا هي الشيطان الأكبر، والثعبان الجريح"، وأضاف قائلاً: "أيها الإخوة والأخوات، يجب أن تعلموا أن أمريكا وإسرائيل هم أعداء لقواعد الإسلام "[57].

لقد جذبت الثورة اهتماماً متزايداً إلى منطقة من العالم لم تكن العناوين الإخبارية لتأتي على ذكرها خلال الحرب الباردة. وفي اللحظة التي جرى فيها إنزال العلم السوفياتي من مبنى الكرملين للمرة الأخيرة، كان الأمريكيون منشغلين بعدد من القصص المروعة القادمة من الشرق الأوسط. وبعد تسعة أشهر فقط من استيلاء الخميني على رأس النظام الإيراني، اندلعت الحرب بين إيران والعراق، حيث وقفت الولايات المتحدة حينها إلى جانب العراق، على أمل أن تقوم بقمع الأقلية الشيعية التي اكتسبت القوة في ذلك البلد، وانتشر نفوذها في أعقاب الثورة الإيرانية. واستمرت الحرب بين البلدين لمدة ثماني سنوات، وأفضت في نهاية المطاف إلى طريق مسدود؛ ولكن على مدار الصراع، برز عدد من الأحداث الأخرى التي عزَّزت من الطبيعة الوحشية المعروفة عن المتشددين الإسلاميين، وعدم توافقهم المتأصِّل مع الغرب. وفي عام ١٩٨٢، جرى اختطاف ٢٥ مواطناً أمريكياً (بالإضافة إلى ١٦ فرنسيّاً، و١٢بريطانياً، و٧ من الجنسية السويسرية، و٧ من الألمان) بوساطة مجموعة لبنانية لها علاقات مع حزب الله. وقامت حركة الجهاد الإسلامي-كما كانت تُسمَّى الجماعة- بتعذيب وقتل عدد من المحتجزين بما في ذلك وليام باكلي William Buckley، وهو مدير

مكتب وكالة المخابرات المركزية السابق، ومن المحاربين القدامى الحاصلين على الأوسمة. وقد ظهرت صورة لجثة باكلي في صحيفة في بيروت في عام ١٩٨٥، وقد عُثر على عظامه بعد ست سنوات في كيس من البلاستيك مرميٍّ على قارعة الطريق بالقرب من مطار بيروت. وفي أبريل (نيسان)، ١٩٨٣، تمَّ تفجير السفارة الأمريكية في بيروت، فيما اعتُبر الهجوم الأعنف على بعثة دبلوماسية أمريكية حتى ذلك التاريخ؛ إذ قُتل أكثر من ٦٠ شخصاً، معظمهم من موظفي السفارة، وجنود البحرية الأمريكية، ومن البحّارة؛ وقد دُمِّر مكتب وكالة الاستخبارات المركزية في الشرق الأوسط. وبعد ستة أشهر، في أكتوبر (تشرين الأول) من ذلك العام، جرى تفجير شاحنتين مفخَّختين ما أدّى إلى تدمير ثكنة القوات البحرية الأمريكية في بيروت بالكامل، مما أسفر عن مقتل ٢٤١ من الجنود والبحارة. وفي شهر يونيو (حزيران) من العام ١٩٨٥، قام عنصران من مقاتلي حزب الله باختطاف رحلة تابعة للخطوط الجوية TWA كانت في طريقها من روما إلى أثينا، واحتجزوا ١٤٥ راكباً كرهائن لمدة ١٧ يوماً. وبعد ثلاث سنوات، في شهر ديسمبر (كانون الأول) من العام ١٩٨٨–أي بعد أربعة أشهر من انتهاء الحرب العراقية الإيرانية–جرى تفجيرالرحلة رقم ١٠٣ التابعة للخطوط الجوية "بان آم" Pan Am فوق مدينة لوكربي في اسكتلندا نفّذها إرهابيون من الجنسية الليبية، وأدّت إلى مقتل ٢٥٩ شخصاً كانوا على متن الطائرة.

لقد اتّسمت التسعينيّات من القرن المنصرم بوجود تدخل عسكري مستمرٍّ في الشرق الأوسط، فضلاً عن استمرار أعمال العنف ضد الأمريكيين؛ فقد دخلت الولايات المتحدة في حرب الخليج في عام ١٩٩١، وذلك بهدف نجدة دولة الكويت التي تعرّضت للغزو من جارتها العراق؛ وفي عام ١٩٩٣، جاء تفجير مركز التجارة العالمي عن طريق عناصر من تنظيم القاعدة. وعندما جرى تفجير المبنى الفيدرالي

ألفريد بي موراه Alfred P. Murrah في عام ١٩٩٥، كانت الولايات المتحدة متورطة على نحو بالغ في الشرق الأوسط لدرجة أنّ الكثيرين اعتقدوا أنَّ متشدِّدين إسلاميين كانوا وراء تلك المذبحة؛ حيث عُدَّ الهجوم الإرهابي الأكبر على الأراضي الأمريكية في ذلك الوقت. وعلَّق الصحفي جيم ستيوارت Jim Stewart من وكالة سي بي إس نيوز بعد ساعات فقط من الانفجار قائلاً: "إنَّ الرِّهان هنا يقع على الإرهابيين من الشرق الأوسط"[58]. وأشار جون ماكويثي John McWethy من شبكة إيه بي سي نيوز إلى "أنَّ الانفجار كان مدوِّياً في مدينة أوكلاهوما، ما جعل المحقِّقين يأخذون بعين الاعتبار على الفور أحداثاً قاتلة مشابهة تجد جميعها جذوراً لها في الشرق الأوسط"، وكتبت جورجي آن جيير Georgie Anne Geyer من صحيفة شيكاغو تريبيون *Chicago Tribune* "أنَّ الحادثة تحمل سِمة السيارات المفخخة على يد المسلمين في الشرق الأوسط"[59]. إلا أنَّ الحقيقة التي أظهرت أنَّ مثل هذا العرض الفظيع من العنف قد ارتكبه رجل أبيض من الجنوب الأمريكي كان أمراً غير مفهوم لدى الكثيرين.

ومع اقتراب الألفية الجديدة، كانت العلاقات بين البلدان ذات الأغلبية المسلمة والولايات المتحدة تتّسم بحالة من النزاع على وجه الخصوص؛ إذ إنه ومع مرور أكثر من ٢٠ عاماً من الصراع بينهما، لم يكن هناك ما يشير إلى أنَّ الأمور ستتحسن، كما أنَّ البعض كانوا يعتقدون أنَّ الوضع سوف يزداد سوءاً، وربما كانوا على حق. ففي يوم ٢٨ أغسطس (آب)، ٢٠٠١، قام محمد عطا–وهو إرهابي مصري تدرَّب في معسكرات تنظيم القاعدة في أفغانستان، بالإضافة إلى حصوله على رخصة قيادة طائرة من مدرسة لتعليم الطيران في ولاية فلوريدا، بشراء تذكرتين على الرحلة رقم ١١ على خطوط أميريكان إيرلاينز American Airlines المتجهة من بوسطن إلى لوس انجلوس.

* * *

قام بن لادن بضبط الراديو بعد الساعة الخامسة مساء بوقت قصير ليستمع إلى محطات الأخبار الأمريكية التي تنقل الحدث. وقد قال في وقت لاحق في شريط فيديو حصلت عليه القوات الأمريكية:"كانت فرحتهم غامرة عندما اصطدمت الطائرة الأولى في البناء، فقلت لهم:'تحلُّوا بالصبر'. وفي نهاية نشرة الأخبار، أذاعوا نبأً مفاده أنَّ طائرة [أخرى] ضربت مركز التجارة العالمي، والحمد الله"[60].

وبعد مرور بضعة أيام على حدوث الهجمات، عثرت السلطات الفيدرالية على حقائب محمد عطا داخل سيارة مركونة في مواقف تابعة لمطار لوغان Logan الدولي. وعُثر داخل الحقيبة على مذكَّرة مكتوبة بخط اليد–وهي عبارة عن تعليمات من بن لادن تشير إلى الليلة الأخيرة من حياة عطا، كما تتضمن قائمة مراجعة لخططه القاتلة:

> أَقسِم بِنيَّة الموت وقُم بتجديد نواياك ... صلِّ صلاة الفجر في جماعة وتأمَّل الأجر الكبير للصلاة ... وعندما تقلُّك سيارة الأجرة إلى المطار، تذكَّر الله وأنت في السيارة ... وعندما تصعد إلى الطائرة، وقبل أن تدخلها، ادعُ الله وتضرَّع له. تذكَّر أن هذه المعركة هي في سبيل الله ... وسوف نلتقي جميعاً فيما بعد في السماوات العُلى[61].

وكان هناك إلى جانب هذه المذكَّرة بدلة زرقاء داكنة اللون، تخيّل لهم في البداية أنها الزيُّ الخاص بالطيّار. ولكن في وقت لاحق، تبيَّن أن ربطة العنق الزرقاء الداكنة، والقميص الأبيض المُموَّج كانا جزءاً من "بدلة الزفاف الخاصة بـ عطا في الجنة"، وكانت قد تُركت في بوسطن مع الأمتعة المتأخِّرة. كما وُجد إلى جانب الملابس زجاجة كولونيا، ووُجد في أسفل الحقيبة–التي كانت مُقفلة–نسخة مجلّدة من القرآن الكريم مطليَّة بالذهب[62].

* * *

وبعد مرور تسع سنوات على صباح ذلك اليوم المشؤوم–الذي رأى فيه الكثير من الأمريكيين وجود صلة بين الإسلام والعنف–كانت وجهات النظر السلبية عن الإسلام آخذة في الازدياد. وبعد عامين من قيام ١٩ مسلماً من بين ١,٣مليار من المسلمين في العالم بالهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون، وَجد استطلاع للرأي أجرته شبكة أيه بي سي ABC نيوز أنَّ ٣٤ ٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإسلام يشجع على العنف[63]. وبعد خمس سنوات، في عام ٢٠٠٨، وعلى الرغم من ندرة الهجمات المستوحاة دينياً، ارتفع هذا العدد على نحو حاد ليصل إلى ٤٨ ٪. وفي الوقت الحاضر، لا يزال هذا النموذج من الشك في حالة استمرار[64]، فقد أشار استطلاع للرأي نشرته صحيفة الواشنطن بوست، وشبكة أيه بي سي للأخبار في سبتمبر (أيلول)، ٢٠١٠، أنَّ نصف الأمريكيين يتبنّون وجهات نظر سلبية عن الإسلام، وهو أعلى رقم جرى تسجيله منذ الهجمات التي نفّذها تنظيم القاعدة في العام ٢٠٠١ [65].

وفي المقابل، وفي خضم تصاعد المشاعر المعادية للمسلمين، أظهرت جرائم الكراهية المسجَّلة ضد المسلمين أنها في حالة تزايد؛ إذ ارتفعت نسبة جرائم الكراهية في الولايات المتحدة ضد السكان المنحدرين من أصول من الشرق الأوسط بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠١ إلى أكثر من ٣٢٤ ٪، حيث سُجِّل ٣٥٤ حالة اعتداء في عام ٢٠٠٠ و١٥٠١ حالة اعتداء أخرى في عام ٢٠٠١ [66]. وأشار مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية كير (CAIR) أن جرائم الكراهية ضد المسلمين في الولايات المتحدة قد ارتفعت بنسبة أكثر من ٥٠ ٪ بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ [67]. وبحلول العام ٢٠٠٩، لم يطرأ الكثير من التغيير، فقد أشار تقرير صادر عن مركز بيو PEW للأبحاث أنَّه بعد مرور "ثماني سنوات على الهجمات الإرهابية في ٩/١١، فإن الأمريكيين يرون أنَّ المسلمين يواجهون المزيد من التمييز داخل الولايات المتحدة أكثر من أية مجموعة دينية

رئيسة أخرى"[68]. وذكر إبراهيم هوبر Ibrahim Hooper–المتحدث باسم مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية–في خريف عام ٢٠١٠، قائلاً:"كنت أعمل بالنيابة عن المسلمين الآخرين لأكثر من ٣٠ عاماً، ولم أرَ أبداً وضعاً كهذا، ولا حتى بعد هجمات ٩/١١. إنَّ خطاب الكراهية غالباً ما يؤدي إلى جرائم الكراهية، وأنا أعتقد أن هذا ما نتعرّض له الآن "[69].

وعلى الرغم من الجهود المبذولة من جانب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، والرئيس أوباما، ومختلف أعضاء الكونغرس، والمنظمات الإسلامية الأمريكية التي تهدف إلى التمييز بين أعمال العنف الفردية الصادرة عن أفراد من المسلمين، والطبيعة الجوهرية لمعتقداتهم الدينية، إلا أنَّ هذه المساعي غالباً ما أثبتت فشلها بسبب الخطاب المعاكس الذي كان يستغل المخاوف الواقعية، ويصوِّر الإسلام على أنه خطر يتهدَّد ليس القيم الأمريكية فحسب، بل إنما مستقبل أمريكا نفسها.

ويمثِّل البعبع الإسلامي أحدث فصل في تاريخ أمريكا الطويل المتعلق بالقصص الخاصة بالوحوش. وبالنظر إلى فداحة أعمال العنف التي يرتكبها المتطرفون المسلمون، فإنّ هذا الظهور يبدو أمراً لا مفرَّ منه. وكما كان الحال مع تهديد جماعة إيلوميناتي (المتنوِّرين) البافارية في أواخر التسعينيات من العام ١٧٩٠، والتسلل المزعوم للكاثوليك في الخمسينيّات من العام ١٨٥٠، والمخاوف من استيلاء الشيوعيين خلال العقد الأول من العام ١٩٠٠، فإنَّ الأحداث العالمية الفعلية قد أدَّت إلى ظهور المخاوف ضمن أوساط معيَّنة من البلاد، ولم يكن الخوف من الإسلام يمثِّل أيَّ استثناء. ولكن كما كان حال الوحوش في تاريخ الأمة، فقد سيطر فريق من الأفراد على الخطر الإسلامي–أي صناعة الخوف من الإسلام Islamophobia–وهم يقومون باستخدام الصور المُريعة، واللغة الانفعالية، والصور النمطية المشحونة، والتكرار،

وذلك بهدف زيادة المخاوف من وجودٍ إسلاميٍّ هائل يتَّصف بحالة من الترصُّد الدائم. وتتألف هذه الصناعة إلى حد كبير-ولكن ليس على سبيل الحصر-من نُشطاء يمينيِّين يتَّصفون بدوافع أيديولوجية، وكثير منهم يعدون أنفسهم من المسيحيين الإنجيليين، وقد وجدوا فريقاً من المتحمِّسين ممن يشاطرونهم الرأي داخل حركة حزب الشاي، بالإضافة إلى مختلف الجماعات السياسية والاجتماعية من المُهمَّشين. وعلى الرغم من موقعهم الثانوي داخل المجتمع الأمريكي، إلاّ أنَّ دعواتهم المتعلِّقة باحتمال سيطرة المسلمين قد اكتسبت نفوذاً متزايداً ضمن المجتمعات المعتدلة والسائدة.

* * *

وفي صيف العام ٢٠١٠، اجتاحت موجة متصاعدة من العنف والمشاعر المعادية للمسلمين أنحاء الولايات المتحدة، وكان السبب وراءها هو الجدل القائم حيال بناء مركز المجتمع الإسلامي في منطقة لوويرمانهاتن Lower Manhattan. لقد تسبَّب بارك ٥١-كما كان يُطلق على المشروع الذي يبعد صفين من المباني عن موقع هجمات العام ٢٠٠١ على مركز التجارة العالمي-بإيقاظ المشاعر المكبوتة لأمة تعرّضت لجرح عميق بسبب المأساة. وأشار المعارضون للمشروع إلى أنّ موقع البناء هو النقطة الأساسية للخلاف؛ حيث أنّ بناء "المسجد الوحش" على مسافة قريبة جداً من "الطابق صفر" Ground Zero يُعدُّ أمراً مسيئاً، لأنَّ المسلمين -على الرغم من أنّهم مجموعة من المنحرفين عن المعتقدات السائدة-هم المسؤولون عن المجزرة التي ارتُكبت في ذلك الموقع قبل تسع سنوات. وبما أنّ القائمين على مشروع بارك ٥١ كانوا من المسلمين أيضاً، فلا بدَّ من وجود رابط ما؛ إذ رأى المعارضون أنّ القرآن الذي عُثر عليه في حقيبة محمد عطا يتضمن ذات الآيات التي سوف تُدرَّس للمسلمين الذين يأتون للعبادة في المسجد. ووفقاً لبعض المعارضين، فإنّ المركز يُعدُّ أيضاً إشارة تُنذر

بسيطرة كبيرة للمسلمين؛ حيث زعموا أنّه عن طريق التسلل إلى منطقة لوويرمانهاتن، سوف يقوم المسلمون باستخدام المسجد كمركز قيادة للإرهاب، ولإرسال المتطرفين في أنحاء الولايات المتحدة، بهدف الإطاحة بحكومات الولايات الواحدة تلو الأخرى إلى أنّ تحلَّ الشريعة الإسلامية مكان الدستور. لقد عادت النظريات التآمرية المتعلقة بغزو الوحوش تاريخيّاً إلى الظهور في حلقة هي الأحدث، ولكن على النقيض من المخاوف السابقة التي ولدت في منابر الكنائس، وعلى الشرفات الأمامية، وفي المكاتب الحكومية، فإنَّ هذه الانتفاضة جرى تغذيتها على شبكة الإنترنت، حيث بنقرة واحدة على الفأرة، تنتشر في كل ركن من أركان البلاد بين عشية وضحاها.

opelkandl.com